مورتون وويلكن من اقتحام المنزل الذي يقيم فيه ابراهام شتيرن، عند امرأة رئيس استخبارات منظمته الذي وقع سجينا نتيجة العملية التي قام بها مورتون قبل مدة ضد الاربعة القياديين. ومن الملفت للنظر ان مصادر الهجناه تعمد الى ارجاع اكتشاف مخبأ شتيرن الى ملاحظة وردت ضمن رسالة بعث بها السجين الى امرأته يسأل فيها عن أحوال «الضيف»[٤٩]، على الرغم من جهود الهجناه العلنية في مطاردة وملاحقة عناصر ومسؤولي منظمة شتيرن، وتسليمهم الى السلطات البريطانية.

بعد اقتحام المنزل في تل - أبيب، أخذت عناصر الأمن تفتش محتوياته، وامتدت يد ضابط المخابرات ويلكن داخل الخزانة بعد فتحها لتمس وسط الملابس جسد انسان، تبين على الفور أنه الشخص المطلوب رقم واحد. وبعد تكبيل يديه، أخرجت قوات الأمن المرأة من الغرفة، لتنطلق، بعد ذلك، ثلاث رصاصات أودت بحياة شتيرن بحجة أنه حاول الهرب كما جاء في البيان الرسمي، خلافا لما تجمع عليه كثير من المصادر الصهيونية بأن عملية القتل نفذت بدم بارد[٥٠]. ومن المرجح أن تكون نهاية شتيرن قد تمت فعلا بهذا الشكل، بخاصة وان البريطانيين لم يتجاوزوا في عملهم هذا رغبة أوساط كثيرة داخل «اليشوف» اليهودي، وعلى رأسها الهجناه في التخلص من شتيرن وجماعته.

وممّا يلفت النظر البيان الذي أصدرته اتسل التصحيحية بمناسبة مصرع شتيرن، فهذا البيان يوضح لنا طبيعة العلاقة بين المنظمتين في اسوأ أيام إحداهما: فقد أدان الشرطة البريطانية لانتهاكها الإعراف الدولية والانسانية بقتلها أناسا بعد «رفعهم أيديهم اشارةً للاستسلام»، وشجبها لانها «أطلقت النار من مسافة قصيرة وبدم بارد على سجين سلم نفسه دون مقاومة» مشيرا الى شتيرن دون ذكر اسمه. بيد ان الأهم والأخطر من الادانة تأكيد البيان على ان «تصفية جماعة شتيرن» قد تمت، وتعريفه الجمهور اليهودي بالمنظمة بشكل لا يدع مجالا للشك باغتباط المسؤولين عن البيان بزوالها، حيث ورد فيه، في مجال تعريف المنظمة للجمهور اليهودي: «ان جماعة شتيرن - جماعة صغيرة معزولة دون غطاء شعبي، ودون أساس اخلاقي، ودون برنامج سياسي - أثبتت أن ليس بمقدورها الصمود في المعركة. لقد استسلم رجالها على الفور، وبذلك أزيلت عنهم دفعة واحدة وللأبد صفة القوة العبرية المقاتلة»[٥١].

لا يحتاج المرء الى كبير عناء لاكتشاف الاساءة المبطنة الى شتيرن بتصويره أنه واجه الموت رافعا يديه مستسلما دون أية مقاومة، والوقوف على مدى تفاؤل اتسل من تصفية «المنشقين» الذين يفتقرون الى «أساس اخلاقي» على تعبير البيان.

ومما تجدر الاشارة اليه، هنا، انه على الرغم من سلسلة حلقات الفشل التي كانت من نصيب شتيرن على صعيد الممارسة والتطبيق، فان شخصيته بعد موته احتلت حيزا كبيرا في قلوب انصاره، واكتست مع مرور الزمن، بهالة من الاحترام والقدسية في نظر مريديه، تفوق أية هالة لزعيم صهيوني في نظر أنصاره. ولا شك بأن بقاء المنظمة على قيد الحياة - على الرغم من تفاؤل اتسل المتسرع بزوالها .. وتعززها يعودان الى جانب